العليم

الاسم هو اسم العليم ، قال تعالى :

﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف : ٧٦] .

بادىء ذي بدء أسماء الله كلها حسنى ، وكل اسم قائم بذاته ، ومع ذلك فبعض الأسماء أكثر تأثيراً في نفوس العباد من بعض الأسماء الأخرى ، قال عز وجل :

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق : ١٢] .

إذاً فربنا عز وجل اختار في معرض الخلق والتنزيل من بين أسمائه كلها اسمين : العليم والقدير ، لأن الإنسان لن يستقيم على أمر الله إلا إذا أيقن أن علم الله يطوله ، وأن قدرته تطوله ، واسم العليم مهم جداً في طريق الإيمان ، لأنك إذا أيقنت أن الله يعلم ظواهر الأمور وبواطنها ، يعلم سرك وجهرك ، يراك في خلوتك ، وفي جلوتك ، في حضرك وفي سفرك ، يعلم نياتك كلها ، يعلم ما يدور في خلدك ، ما يجري في نفسك ، ما تتمناه ، وما تصبو إليه ، وما تشتهيه ، إذا أيقنت أن الله يعلم لزمت جانب الاستقامة .

إذاً أكثر أسماء الله الحسنى تأثيراً في استقامتك اسم العليم ، وأكثر

أسماء الله الحسنى تأثيراً في استقامتك اسم القدير ، والآية الكريمة تؤكد هذا المعنى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾ .

من تعاريف العلم أن تكون هناك علاقةٌ ثابتةٌ بين شيئين ، مقطوع بصحتها ، عليها دليل ، مطابقة للواقع ، لكن علم الله عز وجل يختلف اختلافاً كلياً عن علم البشر ، فالله سبحانه وتعالى محيط بكل شيءٍ علماً ، في ظاهر الأشياء وفي بواطنها ، في دقيقها وفي جليلها ، في أولها وفي آخرها ، في فاتحتها وفي عاقبتها ، ومع ذلك فعلم الله عز وجل من طبيعة أخرى .

أضرب مثلاً موضحاً : لو أن رجلاً عبقرياً اخترع آلة ، وجاءت من بعده أجيال ودرسوا هذه الآلة ، وعرفوا دقائق صنعها ، واكتشفوا العلاقات فيما بين أجزائها ، واكتشفوا القوانين التي على أساسها بنيت هذه الآلة ، فعلم الجيل اللاحق يختلف عن علم العبقري الذي اخترع الآلة ، فعلم المخترع هو سبب وجود الآلة ، علم المخترع سبق الآلة ، لكن علم الدارس جاء بعد وجود الآلة وجاء استنباطاً من دقائقها ، هذا المثل ضربه الإمام الغزالي رحمه الله تعالى في كتابه (إحياء علوم الدين) ، فأنت علمك مستنبط من الوجود ، من القواعد التي قعدها الله ، من القوانين التي قننها الله ، من السنن التي سنها الله ، من الخصائص التي خص الله بها الأشياء ، علم البشر مكتَسَب ، مكتسب من الوجود ، من قوانينه من قواعده ، من سننه ، من علاقاته الثابتة ، من خصائص الأشياء ، لكن علم الله هو الذي قنن القوانين ، هو الذي خصص الأشياء بخصائصها ، هو الذي سنن السنن ، ففرق كبير بين أن تكتشف علاقةً ثابتة بين أشياء موجودة ،

وبين أن تخلقها خلقاً من عدم ، هذا هو الفرق . . . ! فعلم البشر لاحِقٌ للوجود ، كسبي ، وعلم خالق البشر سابِق للوجود وسببي .

وهذا مثل آخر : حينما أنشأ مهندس في العصور القديمة جسراً ، فلما جاء الصيف تصدع هذا الجسر ، ذلك لأن الحديد تمدد ، إذاً منذ استنبطوا أن هذا الحديد يتمدد بالحرارة ، واكتشفوا قانون التمدد بالحرارة ، صاروا في المراحل القادمة إذا أقاموا جسراً أو أنشؤوا بناء يتركون فواصل تمدد ، فنقول : علم البشر كسبي وعلم الله قديم .

وضعوا وقوداً سائلاً في شاحنة ، هذا الوقود خاص بالطائرات ، فلما سارت هذه الشاحنة تحت الشمس المحرقة ، اشتعل هذا الوقود بفعل الشمس المحرقة ، إذاً هذا الوقود يمكن أن يشتعل دون أن تمسه النار بفعل حرارة الشمس الملتهبة ، لذلك صنعوا لهذه الشاحنة التي تحمل الوقود السائل الخاص بالطائرات طبقة ثانية لتكون عازلاً لحرارة الشمس . . فعلم البشر إذاً مكتسب . . . !

إنَّ كل حقيقة وصل الإنسان إليها ، إنما هي عن طريق التجارب ، وعن طريق الخطأ والصواب ، وأكبر دليل أنك إذا دخلت معرض سيارات وتأملت سيارة صنعت عام ألف وتسعمئة واثني عشر ، ووازنت بينها بين سيارة صنعت في عام ألفين ، ترى البون شاسعاً ؛ العجلات دون هواء ، الإضاءة بالفوانيس ، علبة تبديل السرعة غير موجودة ، سرعة واحدة للمركبة ، تشغيل المركبة القديمة من أمامها « بالمناويل » وازن بين مركبةٍ صنعت قبل مئة عام تقريباً وبين مركبة صنعت قبل عام ، تتيقن أن علم البشر علم كسبي ، ولكن علم الله علم أزلي .

إذاً فالعلم هو سبب وجود الأشياء ، لكن تعلَّق علمه سبحانه وتعلقت إرادته ، وتعلقت قدرته بهذا الشيء فكان ، إذاً علمه سبق هذا الشيء ، بل إن علمه سبب لوجود هذا الشيء ، أما علم البشر فلاحقٌ للوجود. . هناك جبال وهناك أنهار وهناك بحيرات ، عرفنا خصائص المياه عرفنا خصائص الهواء ، صنعنا الطائرة وفق خصائص الهواء ، صُنعت الباخرة وفق قانون أرخميدس المعروف. . إذاً كل علم الإنسان وكل معلوماته مستنبط من القواعد التي قعَّدها الله ومن القوانين التي قنَّنها الله ، ومن السنن التي سنها الله ، ومن العلاقات الثابتة التي ثبتها الله ، ومن الخصائص التي خص الله بها الأشياء ، إذاً يجب أن تتيقن أنه من الخطأ الفاحش أن تظن أن علم الله كعلمنا .

أنت ـ بوصفك إنساناً ـ يحكمك المكان والزمان ، أنت وسط المكان والزمان تتحرك على أرضٍ من مكان ، وفي ظرفٍ من زمان ، أنت يغلّفك المكان والزمان ، لكن الله عز وجل ، خالق المكان والزمان ، علم ما كان وعلم ما يكون وعلم ما سيكون وعلم مالم يكن لو كان كيف كان يكون. . . هذه واحدة .

أردنا أن نبين الفرق الجوهري بين علم الإنسان وبين علم الرحمن ، علم الله قديم ، علم يُعدُّ سبب وجود الأشياء ، تعلق علمه وإرادته وقدرته بوجود هذا الشيء فكان هذا الشيء ، وتعلق علمه وإرادته وقدرته بتخصيص هذا الشيء على شكل معين فكان هذا الشيء على شكل معين ، وما القضاء والقدر في حقيقته إلا أن علم الله تعلق بشيء فكان كما أراد الله عز وجل .

في الحقيقة إن هذا الموضوع موضوع واسع جداً ولا يعقل أن

تكفيه صفحات قليلة لتوضيحه ، فكل هذا الكون أثر من علم الله عز وجل ، فأنت إذا اطَّلعت أو قرأت أو تأملت في المركبة الفضائية التي صنعها الإنسان ووصل بها إلى القمر ، هل تصدق أن علم البشر كله منذ أن وجد علم على أرض البشر ، قد ساهم هذا العلم كله في صنع هذه المركبة ، كيف عرفوا أن هذه المركبة يجب أن تنطلق بسرعة كافيةٍ كي تتفلّت من الجاذبية الأرضية ، وكيف درسوا حركة القمر ، وأن هذه المركبة يجب أن تنطلق بزاويةٍ مدروسةٍ دراسة ساهمت فيها أجل عقول علماء الرياضيات بحيث تصل إلى القمر في مكانه الجديد بعد أيام ثلاثة ، وهي المدة التي استغرقتها المركبة في الوصول إلى القمر إذاً هناك علم الفلك وعلم الرياضيات ، وكذلك درست شروط الحياة على سطح الأرض ومدى توافر كل هذه الشروط على سطح القمر.. البزة التي ارتداها رجال الفضاء كلفت ستة عشر مليون دولار ، كي توفر لهم الضغط المناسب والهواء وضخ الهواء ليتكلموا ، طبعاً لا أذكُر هذه التفصيلات إلا لأبينَ أنك إذا رأيت مركبة انطلقت من الأرض ووصلت إلى القمر ، فيجب أن تعلم علم اليقين أن علم الرياضيات منذ أن وجد وفي أرقى تطوراته أسهم في إيصال هذه المركبة إلى القمر ، وأنّ علم الفيزياء في أعلى تطوراته : « **النظرية النسبية والفضاء الأحدب والخطوط المنحنية ، والسرعة والتسارع والجاذبية** » كلها ساهمت في إيصال هذه المركبة إلى القمر ، وعلم الكيمياء وعلم وظائف الأعضاء وعلم الفيزيولوجيا ، وعلم الطب : « **الضغط المناسب وضربات القلب المناسبة ، الأوعية المناسبة** » ، وكيف أن هذا الإنسان يعيش في جو انعدمت فيه الجاذبية ، وهذا شيء يمكننا أن ندرسه في هذا البحث إلى حدٍّ معين

فقط ، يمكننا من أن نعلم أن مركبة الفضاء تشف عن علم كبير جداً هو علم عباقرة البشر كلهم مجتمعين في أعلى مستوى .

وإذا رأيت حقلاً من النفط وسط بحر الشمال اكتُشف ، قد تسأل : كيف اكتُشف هذا الحقل ؟ بأي جهاز وعلى أي مبدأ ؟ أعلى مبدأ الليزر أم على مبدأ المغناطيس ، أم على مبدأ الموجات ، على أي مبدأ ؟ وحينما اكتشف هذا الحقل في قعر بحر الشمال كيف وصلوا إليه ؟ . . كيف غطسوا في الماء خمسة آلاف متر ؟ . . وكيف وصلوا إلى أرض البحر ، وكيف حفروا خمسة آلاف متر أخرى ؟ . . وكيف لم يدخل هذا الماء المالح في البئر ، وكيف أنزلوا هذه المواسير وهذه الأنابيب ، وكيف أفرغوا ماء البحر من هذه الأنابيب ، وكيف حقنوا الإسمنت السائل ، ألا تشعر أن هؤلاء الذين أنشؤوا منصةً على بحر الشمال ، تهبط عليها طائرات هليوكبتر وفيها شبه مدينة ؛ بيوت ومكاتب وإدارات كلها عائمة على سطح مياه البحر ، ودرسوا تلاطم الأمواج وارتفاع الأمواج وعمق الأمواج ، وتيارات البحر والملوحة وعلاقة الحديد بالملوحة ، ومع ذلك في ليلةٍ عاصفةٍ هبت أمواجٌ عاتيةٌ فحطمت هذه القاعدة ، إذاً الدراسة غير كافية .

تصنع طائرة فتسقط بلا سبب ، إذاً لابد من خلل في صنعها ، ضربت هذين المثلين ليكون لك أيها القارىء الكريم منفذاً يوصلك إلى أن تتبصّر في علم الله الخالق المبدع للكون ، قد تجد مثلاً ساعة صغيرةً مبرمجةً لمئتي عام تشعرك بأوقات الصلوات الخمس في أي بلد تشاء . . أنت في دمشق تضبطها على دمشق ، فإذا هي تشعرك وقت صلاة الصبح وصلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء ، وقد برمجت لمئتي عام وعلى مستوى مدن العالم ولا يزيد حجمها على حجم

الساعة التي تضعونها على معاصمكم ، ألا تشعر أن الذي صنعها على مستوى رفيع جداً من العلم .

أطلعني أخٌ على جهاز كمبيوتر صغير بحجم الكف ، فيه خمسة وثلاثون ألف معلومة ، يتسع لعشرة آلاف رقم هاتف ، ولخمسة وثلاثين ألف معلومة وعنوان ، ولك أن تستدعي هذه الأرقام بأقل من لمح البصر بحركة واحدة ، إذا ضغطت على أول حرف من اسم الشخص الذي تبحث عن رقم هاتفه يظهر على الشاشة ، ألا تشعر بقدرة العقل البشري الذي هو بعض خلق الله سبحانه [ما أردت من هذه الأمثلة أن ألفت النظر إلى صناع البشر وإلى المخترعين بل إلى الله الذي خلق وأبدع] ، إن أعظم جهاز تطّلع عليه وأعظم آلة تطلع عليها ، ويقولون لك : هذه آلة تعمل ذاتياً ، هذه الآلة الإلكترونية ، هذا المجهر الإلكتروني يُكبِّر خمسة آلاف مرة ، ترى النملة الصغيرة وكأنها فيل كبير ، ترى المسام في الجلد وكأنها كهوف ، ترى قطعة من جلد الإنسان وكأنها غابات الأمازون ، هذا التكبير خمسة آلاف مرة ، هذا الحاسوب المعقد الذي فيه خمسمئة ألف مليون معلومة ، فانظر إلى ما تراه من وراء هذه الأجهزة ، لترى القدرة الأولى ومن ثَم تعرف من هو الله .

أحد الإخوة الأكارم أطلعني قديماً على كمبيوتر ـ أصبح اليوم في معظم البيوتات ـ سجَّل فيه القرآن الكريم ، وقال لي : سَلْه أيَّ سؤال يحلو لك ، سألته كم مرة وردت : ﴿لكم﴾ ؟ ﴿والأنعام خلقها لكم﴾ ، فأجابني فوراً أنها وردت مئة وثماني عشرة مرة ، فسألته : أين الآيات ؟ فجاءت الآيات وراء بعضها بعضاً ، أتحب أن تطبعها بنفسك ؟ بضغطة زر تطبعها على ورق . . سألته : ما هو أكثر حرف تكرر في سورة ﴿ق﴾ ؟ وكنت أظن أنها القاف ، فكان الجواب :

لا ، ليس القاف ، كله ديسك لا يزيد على حجم الكف ، فأنت أمام كمبيوتر ، أمام حاسوب ، أمام منصة نفط أمام طائرة ، أمام مركبة فضاء . . تدهش . !! .

هل تصدق أن كل هذه الآلات وكل هذه المخترعات لا يمكن أن تكون إلا شيئاً بدائياً جداً أمام جسمك ، فهذا الدماغ أربعة عشر مليار خلية ، خلية قشرية ، فيها المحاكمة والتصور والتذكر والتخيل ، فيها السمع والبصر والحس باللمس والضغط ، فإذا ذهبتُ أتحدث عن جسم الإنسان ؛ سيرى القارىء أن أعقد آلة صنعت لا ترقى إلى أن تكون آلة بدائية أمام هذا الجسم البشري .

فأنت أمام آلة صغيرة قد تعظم الآلة لصغر حجمها ولعظم مفعولها وقد تعظم الآلة لضخامة كتلتها ، ألم تَشْدَه لمجرة تبعد عن الأرض ستة عشر ألف مليون سنة ضوئية ، وأن الضوء يقطع في الثانية الواحدة ثلاثمئة ألف كيلومتر ؟ ، ألا تشده حينما تعلم أن في رأسك ثلاثمئة ألف شعرة ؟ وأن لكل شعرة عصباً ووريداً وشرياناً وغدة دهنية وغدة صبغية ؟ ألا تُدهش إذا علمت أن في الدماغ مئة وأربعين مليار خلية استنادية لم تعرف وظيفتها بعد ؟ ألا تدهش إذا علمت أن في الشبكية مئة وثلاثين مليون مخروط وعصية ، وأن العصب البصري يمر فيه تسعمئة ألف عصب ، وكذلك بالدماغ ، بالأعصاب ، القلب الذي يضخ في اليوم ثمانية أمتار مكعبة دون كلل أو ملل ، الكليتان اللتان يمر فيهما الدم في اليوم خمس مرات ويقطع مئة كيلومتر ، في الغدة النخامية التي إذا رأت خطراً أعطت أمراً إلى الكظر ، والكظر يصدر أربعة أوامر ، أمراً إلى القلب ليسرع في نبضه ، وأمراً إلى الرئتين لتسرعا في وجيبهما ، وأمراً إلى الأوعية كلها كي تضيّق لمعتها ويتوفر

الدم للحركة والهجوم ، والى الكبد كي يطلق كميات السكر في الأوعية .

هل اطلعت على تركيب جسمك ؟ فجسم الإنسان يتفق مع أحدث نظريات الميكانيك ، هل تعلم أن عنق الفخذ يتحمل وزناً يزيد على مئتين وخمسين كيلواً لكل عظم ، الإنسان بإمكانه أن يتحمل خمسمئة كيلو قبل أن تنكسر عظامه ، ولو ذهبت ساعات طويلة أتحدث عن جسم الإنسان لما وفيت الدراسة حقها ، ومثلها ساعات طويلة عن النبات ، فالورقة النباتية مثلاً قرأت عنها مرةً في كتاب والله اقشعر جلدي ، قال العلماء : إن أعظم معمل صنعه الإنسان لا يرقى إلى هذه الورقة الخضراء ، إنها معمل ، تأخذ ثمانية عشر معدناً محلولاً في الماء ، هذا النسغ الصاعد ، في الورقة مادة اليخضور ، في الورقة الفوتون الطاقة الشمسية ، في الورقة الآزوت ، في الورقة شلات الحديد ، مع هذا النسغ الصاعد تصنع الورقة النسغ النازل ، هذا النسغ يصنع الثمار ويصنع الأزهار .

هل عند الإنسان سائل يحقن فيكون خشباً ، ويحقن تارةً يكون حديداً ، وتارةً أخرى إسفنجاً ، أمعقول هذا ؟! السائل واحد والمواد مختلفة ، قرأت مرةً أن هذا النسغ الصاعد يجري في أوعية ، الشجرة إذا نَمَتْ عرضاً ربما ضاقت لمعة الأوعية فضعفت التروية ، إذاً هذه الأوعية مدعّمة بألياف حلزونية لئلا تضيق لمعتها إذا نمت الشجرة ، هذا في النبات .

ولنأخذ الطيور أيضاً : فالطائر يرى ثمانية أمثال الإنسان ، وكذلك لنأخذ الحيوان فبعض الكلاب تشم بدقة تزيد على مليون ضعف من شم الإنسان .

وماذا أقول عن الأسماك مليون نوع من السمك ؟!.. عن الحوت الذي يزيد وزنه على مئة وخمسين طناً ، فيه من اللحم ما يزيد عن خمسين طناً ، وفيه خمسون طناً من الدهن ، وفيه خمسون طناً نت العظم وفيه تسعون برميل زيت ، ورَضْعتُه الواحدة تزيد على ثلاثمئة كيلو ، ثلاث رضعات ، طن من الحليب في اليوم ، وجبته الصغيرة إذا كبر واشتد عوده أربعة أطنان .

ماذا أتحدث عن الأسماك الجميلة التي ترونها في أحواض الأسماك.. هذا كله علم الله عز وجل ، قوانين ، علاقات ، وأعمال دقيقة ، هذا الماء يتمدد بالحرارة ، شأنه شأن أي عنصر ، فما الذي يحدث إذا بردناه إلى درجة خمس عشرة ثم عشر ، ثم إلى أربع ؟!.. يحدث المستحيل ، تنعكس الآية .

قرأت مقالة في مجلة العلوم حول آلية عكس هذه الخاصة أن الماء قبل الدرجة زائد أربع يتمدد بالحرارة وينكمش بالبرودة ، كيف تنعكس الآية عند هذه الدرجة ، والله قرأت هذه المقالة مرتين وشعرت بصداع في رأسي لتعقيد الموضوع ، مَن قنن هذا القانون ؟ كل حياة البشر مبنية على هذه الخاصة ، لو أن الماء استمر بانكماشه مع التبريد لانتهت الحياة من على سطح الأرض ، لأن البحار كلما تجمدت غاصت هذه الكتل المتجمدة إلى الأعماق ، ولأن الشيء عندما يتجمد وينكمش تزداد كثافته ، خلال فترة من الزمن تصبح البحار كلها متجمدة ، ينعدم التبخر ، تنعدم الأمطار ، يموت النبات ، يموت الحيوان ، يموت الإنسان .

فقبل أن يقول المتقولون : إن الله يعلم أو لا يعلم ، فهناك

موضوعات كثيرة جداً لابد من النظر فيها والحكم بموضوعية ، كل هذا الكون مظهر لعلم الله عز وجل ، أنا أردت أن أمثل بمنصة النفط في بحر الشمال فلو أنك زُرتها بطائرة ، وهبطتَ على سطحها لرأيت مدينة كاملة ؛ بيوت ، مكاتب ، أجهزة اتصال ، مطار ، وهذه منصة عائمة على سطح الماء ، والأنابيب تصل إلى خمسة آلاف متر ، وتحت سطح البحر إلى خمسة آلاف متر أخرى كيف وصلوا إلى النفط هناك وكيف ضخ هذا النفط ، ألا تشعر أنك أمام عقول جبارة صنعت هذه المنصة ؟

إن ركبت أكبر طائرة اختُرعت حتى الآن ألا تشعر أن هؤلاء الركاب الخمسمئة كأنهم في مدينة يجلسون في أحد مطاعمها والمقاعد وثيرة يأتيهم الطعام ساخناً وهم يحلقون فوق ارتفاع يزيد على ثلاثة وأربعين ألف قدم ، وكيف أن هذه الطائرة يحملها الهواء ، والهواء ترونه وتحسونه فهل بقدرته أن يحمل طائرة ؟ والسؤال هام ووجيه ، كم هي القوانين معقدة جداً في الطائرة ؟ ، نحن نتصور بسذاجة أن جناح الطائرة فيه بترول ، فيه الوقود اللازم ، فلو أن الجناح مجوف وفيه بترول كما تظن ، بمجرد أن تميل الطائرة كي تدور يميناً أو يساراً تسقط ، فلا بد من حواجز وسط هذا الجناح كثيرة جداً وثقوب صغيرة ومضخات تضخ البترول إلى الجهة المعاكسة ، وهذا الجناح يتعرض لبرودةٍ في أعالي الجو قدرها خمسون درجة تحت الصفر ، وهناك بخار ماء ، إذن يمكن أن تغطىٰ بطبقات من الجليد تسهم في سقوط الطائرة إذن لابد من جهاز تسخين للأجنحة لئلا يتراكم الجليد عليها .

مرةً جلست مع طيار حدثني عن دقائق الطائرة ، فدقة صنعها لا تكاد تصدق ، إذاً لتعلم أن هذه الطائرة وراءها عقل كبير ودماغ

عظيم وعلوم كثيرة ودقة متناهية ، فإذا كنت أمام طائرة شعرت بعظمة مخترعها ، كذلك وإن وقفت أمام باخرة ، يقال لك مثلاً : هذه الناقلة تحمل مليون طن فتصيبك الدهشة ، قوة محرك دفتها أربعة آلاف حصان ، تحريك الدفة فقط ، غير تحريك الناقلة ، فما قولك بهذا الكون ؟! قال تعالى :

﴿ ۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ [الواقعة : ٧٥ـ٧٦] .

هناك أشخاص مساكين ما عرفوا من علم الله عز وجل إلا أنه يعلم أو لا يعلم .

هذا الاسم العظيم الذي يمكن أن تمضي كل حياتك ، تحاول خلالها الوقوف على بعض دقائقه ، فتجد أن قدمك لم تلمس ماء بحر العلم بعد ، ولكن ضُغِط ذلك كله بكلمة واحدة : « عليم » .

سوف نبدأ إن شاء الله تعالى الحديث عن هذا الاسم في بعض التفصيلات ، وقبل كل شيء أذكر أن أسماء الله الحسنى توقيفية ، بمعنى أنه لا يجوز أن تشتق أنت اسماً لله من عندك ، فالله عز وجل مثلاً قال :

﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴾ [الطارق : ١٥] .

فلا يجوز أن تقول : إن الله كائد . .

ويقول : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [الأنفال : ٣٠] . لا يجوز أن تقول : الله ماكر .

أسماء الله الحسنى توقيفية ، لا نذكر منها إلا ما ورد في الكتاب والسنة وما أجمعت عليه الأمة ، هل يجوز أن يقال : الله معلم ؟ لا . . هل يجوز أن يقال : الله علامة ؟ لا . . أعوذ بالله ، ما من أحد قال هذا الكلام ، أجمعت الأمة على أنه لا يجوز أن تقول : الله معلم ، مع أن الله قال : ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾ [النجم : ٥] ، ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ﴾ [النساء : ١١٣] ، علم يعلم معلم ، فلا يجوز أن تقول : الله معلم ، أجمعت الأمة على أن أسماء الله توقيفية ، لا يجوز أن تَذكر منها إلا ما ورد في الكتاب والسنة وما أجمعت عليه الأمة .

هل يجوز أن يقال : الله عارف ؟ لا ، ولا تقل أيضاً : الله يعرف ، لأن كلمة عارف ويعرف وعرف تعني أن قبل المعرفة جهل ، فمثلاً أقول : أنا عرفت الشيء بعد أن جهلته ، فكلمة يعرف يسبقها جهل ، لا يليق بالله عز وجل أن تقول هو يعرف ، بل هو يعلم ، لأن كلمة يعلم لا يسبقها جهل ، ليس قبل العلم جهل ، فالعلم قديم عند الله عز وجل .

هل تقول : الله فطن ؟ لا ، هل تقول : الله عاقل ؟ لا ، هل تقول : الله ذكي ؟ أعوذ بالله ، إذاً أسماء الله تعالى توقيفية لا يجوز أن تخترع اسماً ، ولا أن تشتق اسماً إلا أن يرد في الكتاب والسنة وتجمع عليه الأمة .

الفرق الدقيق جداً بين علم الله وعلم البشر أنّ علم الله سبحانه وتعالى بالأشياء غير مستفاد من الأشياء ، بل الأشياء مستفادة من علم الله ، وعلم العبد بالأشياء مستفاد من الأشياء .

أقول لكم هذه الكلمة : شرّف الله العبد العالم بسبب أن العليم

اسم من أسماء الله الحسنى ، تقول : إنسان عالم أو عليم أو علامة ، من أين جاءه الشرف ، لأن الله عليم ، أنا لا أقول : للإنسان اسم يشبهه حاشا لله ، ليس كمثله شيء ، لكن قل : الله عليم ، وهذا الإنسان عالم ، من هنا جاء شرف العلم ، إن الله عالم يحب كل عالم .

وبعد ، فها نحن بصدد سؤال يطرح نفسه : ما هي أشرف العلوم ، أو كيف تكتسب العلوم شرفها ؟

إذا كان عند أحد علم بطريقة كسر أقفال المحال ، هل تحس أن هذا العلم شريف ؟ لا ، فهذا سارق .

إذا كان عنده علم بوسائل تزوير العملة ، عنده أجهزة معقدة وآلات تصوير ملونة وورق خاص ، ودرس هذا الفن ، وعنده كتب وحضر دورات في هذا المجال ، فهل تُعظِّمُ هذا العلم ، تزوير العملة مثلاً ؟!

علم تهريب مخدرات مثلاً ، أعوذ بالله ، أحياناً يسلك المهربون في المخدرات أساليب وطرائق يعجز عن فهمها الأذكياء ، وقال لي بعضهم : إن كشف عملية تهريب المخدرات بنسبة عشرة بالمئة فقط ، ويكون ذلك مصادفة أو بإخبار ، لأن هؤلاء المهربين على مستوى رفيع جداً ، فهل تُعظِّمُ هذا العلم ؟ ، لا بل تحتقره .

فلان يعلم عن أمراض القلب أشياء كثيرة ، لأن الناس بحاجة إليه ، فأنت ترى أن هذا العلم مفيد ، فهو أعلى ، إذاً فمن أين يكتسب العلم شرفه ؟ من شرف المعلوم ، فكلما شرُف المعلوم شرُف العلم .

إذا كان عند أحد معلومات دقيقة عن المغنين والمغنيات ، وعن أوقات استيقاظهم ، وعن أوقات نومهم وعن مسَّاجهم ، وعن أغذيتهم ، وعن قضاء أيام عطلاتهم ، فهل تحترمه ؟!

أريد أن أؤكد أنه لا يرتفع العلم إلا إذا ارتفع المعلوم ، إذا اعتمدنا هذا المبدأ فما هو أعظم العلوم ؟ العلم بالله .

« **فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه** » [رواه الترمذي من حديث أبي سعيد] .

تعلمنا الفيزياء والكيمياء والرياضيات والطب والهندسة والفيزيولوجيا والمورفولوجيا و..إلخ ، وعرفنا الله ، هذه كلها مخلوقات ، والله هو الخالق ، إذاً أشرف علمٍ أن تعرف الله لأن شرف العلم من شرف المعلوم ولا موضوع للعلم أعظم من ذات الله عز وجل .

وبعد ، فأن تعرف الطريق الموصل إلى الله ، علم شريف ، أن تعرف أمر الله ، علم شريف ، أن تعرف الأحكام الشرعية التي استنبطت من القرآن ، علم شريف ، أن تعرف أمراض القلب وكيف يسمو هذا القلب إلى ربه ، هذا علم شريف ، إذاً أشرف العلوم أن تعرف الله ، ويليها في الدرجة العلوم الموصلة إلى الله .

ولتعلم من ثم أن في الكون حقيقة واحدة هي الله ، وأي شيء يوصلك إليه فشرفه من شرف غايته ، فإذا تعلمت العربية كي تفهم كلام الله بدقة ، فشرف هذا العلم مقتبسٌ من شرف الهدف النبيل .

نتابع الموضوع : الإمام الغزالي كما ذكرت من قبل قال : « **هناك علم بالله ، وعلم بأمره ، وعلم بخلقه** » ، العلم بأمره وبخلقه علمان

شأنهما كشأن أي علم ، يحتاجان إلى مدارسة وكتب وإلقاء ودروس ، وحقائق وحفظ وتذكّر ، وهذه العلوم تبقى في الذاكرة ، لكن العلم بالله له طبيعة أخرى ، هذا العلم من أثره السمو بالنفس والارتقاء بها إلى الله ، العلم بالله لا يأتي بالمدارسة ، بل يأتي بالمجاهدة ، ولا يبقى في الدماغ بل يسمو بالنفس ، ثمنه باهظ ونتائجه باهرة جداً ، إذاً العلم بالله أشرف العلوم .

أعود وأكرر : إنه أشرف العلوم أن تعرف الله ، أن تعرف اسم القدير ، اسم العليم ، اسم العزيز ، اسم الحكيم ، اسم الغفار ، اسم القهار ، اسم الملك ، اسم القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن . . إلخ .

أن تعرف الله ، وأن تكون في المستوى الذي يريده الله ، أن تكون مخلصاً محباً مستقيماً عالماً ورعاً متوكلاً ، فالفضل لله عز وجل ، وشرح أسماء الله الحسنى منها ما يتعلق بذات الله ، ومنها ما يتعلق بقلب الإنسان ، وماذا ينبغي أن يكون عليه هذا القلب ، من علم وإخلاص وحب وتوكل وصدق واستقامة ، فكأن ما يدور من بحث لفهم أسماء الله الحسنى هو خلاصة العلوم كلها .

وإليك بعض التفصيلات :

أولاً : ورد العلم في القرآن بمعنى إثبات العلم لله ، وأحياناً تسأل : فلانٌ عالم أم غير عالم ؟ لا ، بل عالم إن شاء الله ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان : ٣٤] .

إثبات العلم لله سبحانه :

﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] .

إثبات العلم لله سبحانه :

﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [النساء : ١٦٦] .

﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [فاطر : ١١] .

إذاً هناك آيات كثيرة محورها إثبات العلم لله ، **فالله عالم يحبُّ كلَّ عالم** ، ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ ﴾ .

تكلم شاب يوماً عند الشعبي بأمر فقال الشعبي : ما سمعنا بهذا ، قال الشاب : كل العلم سمعت ؟ قال الشعبي : لا ، قال الشاب : فشطره ؟ قال الشعبي : لا ، فقال الشاب : فاجعل هذا في الشطر الذي لم تسمعه ، فأفحم الشعبي .

فمن يحيط بالعلم ؟ يظل المرء عالماً ما طلب العلم ، فإذا ظن أنه قد علم فقد جهل ، إذا قلتَ : إني عالم فأنت جاهل ، بكل تواضع ، بكل صراحة ، لذلك أنا أتمنى من الذين لهم رغبات علمية جامحة ، ويحضرون مجالس علم ، ويحرصون على فهم كلام الله وعلى فهم السنة المطهرة ، أتمنى عليهم إذا تحدثوا عن أنفسهم أن يقولوا : نحن طلاب علم ، هكذا الأدب ، ولقد سمعت هذه الكلمات من علماء كبار يقول أحدهم : « أنا طالب علم » .

فيما مضى ألَّف أحدهم كتاباً كتب عن نفسه أنه أحد علماء دمشق.. بخلاف ما كان عليه الأجداد من السلف الصالح كانوا إذا وصفوا أنفسهم قالوا : الفقير إليه تعالى ، غفر الله له ذنبه ، آمين .

فإذاً وردت بعض الآيات في القرآن بمحور إثبات العلم لله ، يقول لك : رسول الله أمي..

والشيء يذكر بالشيء فإن رئيس جامعة من الجامعات ، طُلب منه إحداث قسم دراسات على مستوى ماجستير في كلية الشريعة ، فقال رئيس الجامعة : لماذا الماجستير أنتم يا طلاب الشريعة نبيكم أمي ، فأجابه عميد الكلية : ولكنه يوحى إليه وحينما يوحى إلينا نستغني عن كل الجامعة ، لذلك قال العلماء : الأمية صفة كمال في حق رسول الله ﷺ ، وصفة نقص في حق غيره ، إذا قلت عن إنسان : هو أميّ يعني جاهل ، أما إذا قلت عن النبي الكريم ﷺ : هو أمي يعني أنه هو تنزه عن علم البشر ، تنزه عن ثقافة عصره ، تنزه عن معطيات الأرض ، وعلَّمه الله .

أحياناً يكون أحد الناس خريج جامعة فيتفاخر قائلاً : أنا معي « بورد » من أمريكا ، وفلان يقول : معه « إف . آر . إس » من إنكلترا ، وآخر يقول : معه « أكريجيه » من السوربون ، يعطيها اسماً مفخماً يمطها قليلاً ، وبعضهم يفتخر بالأستاذ الذي علّمه ، وأشرف على شهادته ، فإذا افتخرنا بأن فلاناً أستاذنا ، ونحن علّمَنا فلان ، ونحن علّمْنا فلاناً ، فإني أجلس إلى المثقفين الذين يفتخرون بأساتذتهم ، فأقول : فمن علم النبي ﷺ ؟! الله سبحانه وتعالى خالق الكون علّمه ، فحسبه هذا العلم وذاك الشرف ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ

وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء : ١١٣] .

يـا أيهـا الأمـي حسبـك رتبـةً في العلم أنْ دانت لك العلماء

كذلك ؛ يأتي إنسان عبقري ذكي جداً فيقتطف خمسين حديثاً من أحاديث رسول الله ﷺ يدرسها ويحللها ويدرس صياغتها ، وبلاغتها ، مضامينها ، أبعادها ، مدلولاتها ، ثم يُمنح درجة الدكتوراه ، فموضوع شهادته بل حجمها خمسون حديثاً من أحاديث رسول الله ﷺ ، أصبح بعدها دكتوراً في الشريعة ، يقول : أنا أحمل الدكتوراه ، يكتب : دكتور في الشريعة ، حتى يعرف الناس قدره .

إذاً :

يـا أيهـا الأمـيُّ حسبـك رتبـةً في العلم أن دانت لك العلماء

الأمية في حق رسول الله ﷺ كمال ، وفي حق غيره نقص ، قال الله تعالى :

﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت : ٤٨] .

الآن وردت آيات العلم في محور آخر ، هذا المحور أن الله عالم قال الله تعالى :

﴿ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾ [الجن : ٢٥ـ٢٧] .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَـٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾

[فاطر : ٣٨] .

المحور الأول : أثبتنا العلم لله ، المحور الثاني : وصفنا ربنا بأنه عالم ، المحور الثالث : الله علاّم ، كلمة علاّم على وزن فعّال ، صيغة مبالغة يعني : كثير العلم ، لنوضحها لكم ، نقول : فلان كاذب ، يعني هو في هذا القول كاذب ، يعني في حياته كلها كذب كذبة واحدة ، يسمى في اللغة كاذباً ، أما إذا كان يكذب كلما تنفَّس يقال عنه : كذّاب ، إذاً صيغة كذاب تعني التكرار ، التكثير ، المبالغة .

قد مر بنا سابقاً أن صيغة المبالغة تعني النوع أو الكَم ، إما أنها كذبة كبيرة جداً ، وإما أنها كذبات كثيرة ، إذاً صيغة فعال تعني الكثرة أو الضخامة ، تعني مبالغة العدد أو مبالغة النوع ، فإذا قلت : إن الله علام الغيوب يعني كل الغيوب يعلمها ، الله عز وجل علمه مطلق يعلم كل غيب ، يعلم مصير كل مخلوق ، ﴿ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا ﴾ [الأنعام : ٥٩] ، فتصور نفسك في حقل زيتون في الخريف وكلما هبت نسمات من الرياح تساقطت أوراق الزيتون ، وفيها وفي مثلها قال تعالى :

﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام : ٥٩] .

علم ما كان ، وعلم ما يكون ، وعلم ما لم يكن لو كان كيف كان يكون .

المحور الرابع : الأعلم :

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۗ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴾ [الكهف : ٢١] .

روى البخاري في الأدب المفرد من حديث عدي بن أرطاة قال : كان الرجل من أصحاب النبي ﷺ إذا زكي قال : اللهم لا تؤاخذني بما يقولون ، واغفر لي مالا يعلمون .

إذاً الله عز وجل أثبت العلم لذاته ، ووصف نفسه بأنه عالم ، وأنه علام ، وأنه الأعلم ، لكن لا يصح أن تقول : معلم ، قال تعالى :

﴿ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [البقرة : ٣٢].

﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴾

[الرحمن : ١ـ٤]

﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾[النساء : ١١٣].

﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾

[الكهف : ٦٥]

ملاحظة على الهامش :

إذا قال الله عز وجل : ﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ ﴾ [طه : ١٢١] ، قال العلماء : لا يجوز أن تقول : آدم عاصٍ ، ليس لك الحق أن تشتق من فعل : ﴿وعصى﴾ اسماً لسيدنا آدم ، وإذا قال الله عز وجل :

﴿ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴾

[القصص : ٢٦]

قال العلماء : لا يجوز أن تقول : موسى أجير ، طبعاً هناك تعليلات لطيفة لكل هذه الأوصاف ؛ فأمر الله عز وجل لسيدنا آدم في الجنة أمرٌ إرشادي ، وليس أمراً تكليفياً ، والمعصية على حقيقتها لا تكون إلا من مخالفة أمرٍ تكليفي ، فحينما أكل هذا النبي العظيم سيدُنا آدم ، أجل حينما أكل التفاحة لم يخالفْ أمراً تكليفياً بل خالف أمراً إرشادياً ، فربنا قرب إلينا ما حدث قال :

﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴾ [طه : ١٢١] .

ليس لك أن تقول : آدم عاصٍ ، ولا أن تقول : موسى أجير ، هذه الملاحظة على هامش الموضوع ، أيضاً ما ورد في حق الأنبياء يجب أن يكون كما ورد من دون تبديل أو اشتقاق أو تغيير .

وأخيراً فالعالم والعلام والأعلم ، كل هذه الأسماء مع أنها وردت في القرآن الكريم إلا إنها لم ترد في أسماء الله الحسنى ، لم يرد في أسماء الله الحسنى إلا العليم ، والعليم : صيغة مبالغة أيضاً تفيد المبالغة في العدد وفي النوع .

وبعد ، أتمنى على القراء الكرام أن يقفوا الآن وقفة متأنية عند هذا السؤال الملح : ماذا نستفيد من اسم العليم ؟ قال أبو الجلد : أوحى الله تعالى إلى نبي من الأنبياء قل لقومك ما بالكم تسترون الذنوب من خلقي وتظهرونها لي إن كنتم ترون أني لا أراكم فأنتم مشركون بي وإن كنتم ترون أني أراكم فلم تجعلوني أهون الناظرين إليكم .

وكان وهب بن الورد يقول : خف الله على قدر قدرته عليك ، واستحي منه على قدر قربه منك ، وقال له رجل : عظني! فقال : اتق الله أن يكون أهون الناظرين إليك .

وكان بعض السلف يقول : أتراك ترحم من علم أن لا عين تراه غيرك ، وقال بعضهم : ابن آدم إن كنت حيث ركبت المعصية لم تصف لك من عيني ناظرة إليك فلما خلوت بالله وحده صفت لك معصيته ولم تستحي منه حياءك من بعض خلقه ؟ ما أنت إلا أحد رجلين إن كنت ظننت أنه لا يراك فقد كفرت ، وإن كنت علمت أنه يراك فلم يمنعك منه ما منعك من أضعف خلقه .

إذا كنت لا تعلم أن الله يراك فهذا ضعف في الإيمان كبير ، وإذا علمت أن الله يراك لِمَ جعلت الله عز وجل أهونَ الناظرين إليك ، قال الله تعالى :

﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴾ [النساء : ١٠٨] .

لذلك : اعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، وقال بعض العلماء : « **إنّ حال المراقبة أن تشعر أن الله معك دائماً ، وهذا الشعور يورثك الخشية والاستقامة** » ، ونعود إلى أول آية طرحناها في هذا الدرس :

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾ ولن تستقيم على أمره إلا إذا أيقنت أن علمه يطولك ، وأن قدرته تطولك .

وأخيراً المراقبة : هي التعبد بأسمائه : الرقيب ، الحفيظ ، العليم ، السميع ، البصير ، فمن عقل هذه الأسماء ، وتعبد بمقتضاها ، حصلت له المراقبة .

* * *